

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طبع على نفقة بعض المحسنين

جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة


واجبنا نحو
الصحابة

ح) **عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، ١٤٣٢هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البدر، عبد الرزاق عبد المحسن

واجبنا نحو الصحابة. / عبد الرزاق عبد المحسن البدر – المدينة المنورة ، ١٤٣٢هـ

٤٨ص، ١٢×١٧سم

ردمك: ٩-٤-٨٧٥٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الصحابة والتابعون أ. العنوان

ديوي ٢٣٩.٩ ١٤٣٢/١٠٤٩٢

رقم الإيداع : ١٠٤٩٢/ ١٤٣٢

ردمك : ٩-٤-٨٧٥٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستَعينُه ونستَغفره، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسِنا وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد:

إنَّ موضوع هذه الرِّسالة: «واجبُنا نحو الصَّحابة الكرام رضي الله عنهم»، وهُو واجبٌ عظيمٌ، ومطلَبٌ جليلٌ، يجدُر بنا جميعًا أن نُرعيه اهتمامَنا، وأن نعتنيَ به غايةَ العناية.

وليعلَم القارئ الكريم أنَّ واجبنا نحو الصَّحابة جزءٌ من واجبنا نحو دينِنا؛ دينِ الإسلام الَّذي رضيَه الله لعباده،

ولا يقبل منهُم دينًا سواه، كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وكما قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران]، وكما قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فهذا الدِّين القَويم والصِّراط المستَقيم دينُ الله ﷻ، قد اختَار الله له مبلِّغًا أمينًا، وناصحًا حكيمًا، ورسولًا كريمًا، ألا وهُو محمَّد ﷺ، فبلَّغ هذا الدِّين أتمَّ البلاغ، وبيَّنه أكمَل البيان، وقام بما أمرَهُ به ربُّه ـ تبارك وتعالى ـ على أتمِّ وجهٍ، وأكمَل حالٍ، قال الله له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، فبلَّغ الرِّسالة، وأدَّى الأمانةَ، ونصحَ الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهادِه حتَّى أتاه اليقين، وما تركَ خيرًا إلَّا دلَّ الأمَّة عليه، ولا شرًّا إلَّا حذَّرها منه، قال الله

تعالى ممتنًّا على عباده: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [سُورَةُ الجُمُعَةِ].

بلَّغ رسولُنا ﷺ دينَ الله على التَّمام والكَمال، ونصحَ للأمَّة غايةَ النُّصح، وأوضَح لهم المحجَّة وأبانَ لهم السَّبيل، صلواتُ الله وسلامُه عليه.

وقد اختَار الله ـ جلَّ وعلا ـ لهذا الرَّسول الكريم صحابةً كرامًا، وأنصارًا عدولًا، وأئمَّةً ثقاتًا، نصروه وعزَّروه وأيَّدوه، ونصروا دينَ الله ـ تبارك وتعالى ـ، فكانوا رضي الله عنهم خيرَ صَحْبٍ لخيرِ مَن مشى على وجهِ الأرضِ ـ رسولِ الله ﷺ ـ، كانوا صحابةً بَرَرَةً، وإخوَةً كِرامًا، وأعوانًا أقوياءَ أشدَّاءَ، نصروا دينَ الله عز وجل وأيَّدوه، فكانوا خيرَ أعوانٍ لنشره ونصره.

فأَنْعِمْ بِهِمْ وأَكْرِمْ؛ أنعِم بهم ما أعلى قدرَهم! وما أجلَّ مكانتَهم! وما أشرَفَ الجُهدَ الَّذي قاموا به لنُصرة دين الله تبارك وتعالى!

والله ﷻ اختار هَؤلاء الصَّحابة لنبيِّه ﷺ عن علم وحكمةٍ، اختار له خيارًا عدولًا، كانوا بشهادة ربِّ العالمينَ وشهادةِ الرَّسولِ الكريم ﷺ، خيرَ النَّاس بعدَ الأنبياءِ، كما قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأوَّل مَن يدخُل في ذلك صحابةُ النَّبيِّ ﷺ فهُم يدخُلونَ في هذا الثَّناء دخولًا أوَّليًّا.

جاء في «الصَّحيحيْن»(١) عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

فهذه خيريَّة للصَّحابة شهِد لهم بها ربُّ العالمين، وشهِد لهم بها رسولُه الكريمُ ﷺ، وكانوا حقًّا خيارًا عدولًا ثقاتًا أثباتًا أئمَّةً هداةً، رضي الله عنهم وأرضاهم.

ولهذا يجبُ علينَا أن نعيَ أنَّ الحديثَ عن الصَّحابة ﷺ وما يجبُ علينا نحوَهم هُو جزءٌ من الدِّينِ، وجزءٌ من

---

(١) البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

العقيدة الإسلاميَّة، وجزءٌ من الإيمان الَّذي تعبَّدَنا الله ـ تبارك وتعالى ـ به؛ لأنَّك إذا طالعتَ كُتُبَ العقيدةِ الَّتي كتبَها أئمَّةُ السَّلف في القَديم والحديثِ، لا تجد كتابًا منها يخلو من بيانِ العقيدةِ نحو الصَّحابة.

*** والسُّؤالُ الَّذي يطرَح نفسَه:**

لماذا كان واجبُنا نحوَ الصَّحابَة جُزءًا من واجبِنا نحوَ دِينِنا؟!

أقول: إنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم هُم حمَلَةُ هذا الدِّين ونقلتُه للأمَّة؛ فقَد شرَّفهم الله تعالى وأكرمَهُم بسماع دينِه من رسُولِ الله ﷺ، وشرَّفهم كذلك برؤيةِ طَلْعَته ومشاهَدتِه ﷺ وشرَّفَهُم بسَماع حديثِه منه بدُون واسطة، فَرَأوه وسَمِعوا حديثَه وحفظُوه ووَعَوْه ونقَلُوه لأمَّة الإسلام.

أيوجَد حديثٌ من أحاديث النَّبيِّ ﷺ ـ سواءً القوليَّة أو الفعليَّة ـ وصَل إلينَا من غير طريقِ الصَّحابة؟!

إذا فتَحت كُتُب السُّنَّة؛ «صحيح البُخاري» أو «صحيح مسلم» أو «السُّنَن» أو «المسانيد» أو «المجَاميع» أو الأجزَاء الحديثيَّة تجدُ الإسناد يبدأ من المؤلِّف: حدَّثنا فلانٌ عن فلانٍ عن فلانٍ إلى أن يصِلَ إلى الصَّحابي ثمَّ الصَّحابيُّ يَروي عن النَّبيِّ ﷺ؛ فجميع الأحاديثِ الَّتي صَحَّت وثَبتَت عن رسولِ الله ﷺ في طريقِنا إلى النَّبيِّ ﷺ صحابيٌّ جليلٌ.

* عدالة الصَّحابة:

والصَّحابة رضي الله عنهم كلُّهم عُدولٌ، عدَّلهم الله ـ جلَّ وعلا ـ ووثَّقهم في كتابه، ووثَّقهم نبيُّه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، ولهذا جرت طريقة أئمَّة السَّلف وعلماء السُّنَّة في الأحاديث الَّتي تُروى عن النَّبيِّ ﷺ، أن يبحثوا في عدالة رُواتِها، ومنزلتِهم منَ الثِّقة والضَّعف، ويبحثُون في حال كلِّ راوٍ في الإسناد؛ هل هو ثقةٌ أو ضعيفٌ؛ هل هو عدلٌ أو ليس بعَدلٍ؛ وإذا وصل الإسناد إلى الصَّحابي لا يبحَث في هذه

المسألة؛ لأنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم عُدولٌ ثقاتٌ؛ ولهذا إذا نظرتَ في كُتُب العِلل وكُتُب الرِّجال بدءًا من زمن التَّابعين فمَن بعدَهُم تجد كلَّ واحد منهُم يتكلَّمون عن حاله، فيقولون: فلانٌ ثقةٌ، فلانٌ ثبتٌ، فلانٌ حافظٌ، فلانٌ ضعيفٌ، فلانٌ كذَا.. إلَّا الصَّحابة فلا يتكلَّم أحدٌ عنهُم، هَل هُم عدول أو ليسوا بعدول؛ هل هُم ثقاتٌ أو ليسوا بثقات؟

والسَّبب في ذلك أنَّهم كلُّهم معدَّلون، عدَّلهم ربُّ العالمين ـ جلَّ وعلا ـ ورسُوله ﷺ، وذلكَ في آياتٍ كثيرةٍ من القُرآن، وفي أحاديثَ عديدةٍ عن الرَّسول الكريمِ، عليه الصَّلاة والسَّلام.

*** الصَّحابة رضي الله عنهم نقلة هذا الدِّين:**

الصَّحابة رضي الله عنهم هُم نقَلَةُ هذا الدِّين سمعُوه من رسولِ الله ﷺ، وحفظُوه كما سَمعوه، وبلَّغوه للأمَّة بكلِّ أمانةٍ وثقةٍ، ولسانُ حال كلِّ واحدٍ منهُم يقول: هذَا ما سَمعناه من رسولِ الله ﷺ

وها نحنُ نبلِّغُه لكُم وافيًا تامًّا كاملًا كما سمعنَاه.

أولئك الأصحابُ الَّذين نالوا الحظَّ الوافر والنَّصيب الكامل من دعوةِ النَّبيِّ ﷺ حينَ قال: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ**»[1]؛ فهل تعلمون أحدًا من هذه الأمَّة ظفر بهذه الدَّعوة العظيمة مثلما ظفر بها الصَّحابة رضي الله عنهم وأرضاهم؟

حفظوا الدِّينَ وحفظوا أحاديثَ الرَّسولِ الكريمِ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، وبلَّغوها للأمَّة صافيةً نقيَّةً، تامَّةً كاملةً، بكلِّ أمانةٍ وثقةٍ، وبكلِّ دقَّةٍ وعنايةٍ، هكذا كان شأنُهم رضي الله عنهم.

كانوا معَ النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ يحرصُون على مجالسه، ويتَنافسون على حضُورِها وسماع أحاديثِه، ويحفظونها وتَعيها قلوبُهم، وينقلُونها لأمَّة الإسلام.

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٢)، والتِّرمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، وهُو مرويٌّ عن جمعٍ من الصَّحابة بألفَاظ متَقاربة، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٤٠٤).

* الحديث عن الصَّحابة ﷺ هو حديث عن الدِّين:

فإذا كان الصَّحابة ﷺ بهذه الرُّتبة المُنيفة والمكانة الشَّريفة؛ أفلَا يكونُ الحديثُ عنهم جزءًا من الحديثِ عن الدِّين؛ وهُم نقَلتُه وحملته للأمَّة؟ كلُّ حَديثٍ يبلغُنا عن النَّبيِّ ﷺ يتوسَّط في إبلاغِه إلينَا أحدُ الصَّحابة؛ فكان الحديث عنهم جزءًا منَ الحديثِ في هذا الدِّين.

* الطَّعن في الصَّحابة ﷺ طعنٌ في الدِّين:

وبالمقابل؛ فإنَّ الطَّعن فيهم ﷺ طعنٌ في الدِّين نفسِه؛ كما قال العلماء: «الطَّعنُ في النَّاقل طعنٌ في المنقُول»، إذا كان مَن نقَل إلينا الدِّينَ وهُم الصَّحابة ﷺ مطعونٌ فيهم ومتكَلَّمٌ في عدالتِهم، ومتكلَّمٌ في ثقتِهم وأمانتِهم؛ فكيف يكون شأنُ الدِّينِ، إذا كانَ مَن نقَل لنا الدِّين مطعونٌ فيه؟ يكون الدِّينُ ذاتُه مطعونًا فيه، ولهذا قال الإمام الجليل والحافظ النَّبيل أبو زُرْعَة الرَّازي ﷺ: «إذا رأيتُم الرَّجُلَ

ينتقصُ أحدًا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ، فاعلموا أنَّه زنديق؛ وذلك أنَّ الرَّسُولَ ﷺ عندنَا حقٌّ، والقُرآن حقٌّ، وإنَّما أدَّى إلينَا هَذا القُرآنَ والسُّنَن أصحابُ رسولِ الله ﷺ؛ وإنَّما يُريدون أنْ يجرَحُوا شهُودَنا ليُبطِلُوا الكتابَ والسُّنَّة، والجَرْحُ بهم أوْلَى، وهُم زنادقةٌ»[(١)].

فإذا كان الصَّحابة رضي الله عنهم غير ثقات ولا عدول، فأين الدِّين الَّذي نعبدُ اللهَ به؟

ويُوغل فئامٌ من النَّاس في الضَّلال فيَطعن في الصَّحابة كلِّهم إلَّا نفرًا قليلًا يعدُّونهم على رؤوس الأصابع؛ فيقال لهم: إذا كان الأمر بهذا الحال؛ فأينَ الدِّين؟! كيفَ يُعلَم دينُ الله؟! كيف يُعبَد الله؟! كيف يصلَّى له ويُسجَد؟! كيف تؤدَّى فرائضه؟! كيف يحجُّ إلى بيته؟! كيف يُقام بطاعته؟! كيف ينتهي عن أمره؟! إذا طُعن في نقلتِه وحملتِه صحابة النَّبيِّ

(١) «الكفاية في علم الرِّواية» للخطيب البغدادي (ص٤٩).

الكريمِ، عليه الصَّلاة والسَّلام.

ولهذا يجب أن نعي أنَّ الطَّعن في نقلةِ الدِّين ـ وهم الصَّحابة ـ طعنٌ في الدِّين نفسِه، ونعِي تمامًا أنَّ واجبَنا نحو الصَّحابة جزءٌ من واجبِنا نحو دينِنا؛ لأنَّهم هُم الَّذين نقلُوه، فإذا طُعِنَ فِيهم طُعِنَ في الدِّين.

* عدالة الصَّحابة رضي الله عنهم:

وكيف يُطعن فيهم والَّذي عدَّلهم ربُّ العالمين في كتابه المبين في آي كثيرة منه، بل أخبر ـ جلَّ وعلا ـ أنَّه رضي عنهم ورضوا عنه؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، أخبر ـ جلَّ وعلا ـ أنَّه رضي عنهُم، أيرضى اللهُ عمَّن لا يكونُ ثقةً في نقل الدِّين؟! أَيَرضى ـ جلَّ وعلا ـ عمَّن يكونُ خائنًا في إبلاغ كلام الرَّسول الكَريم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ؟! هيهاتَ هيهاتَ! وحاشا وكلَّا؛

رضيَ الله عنهم؛ لأنَّهم ثقاتٌ عدولٌ، ولأنَّهم أئمَّةٌ خيارٌ، ولأنَّهم مبلِّغون لدِينِه على أتَمِّ وجهٍ وأحسنِ حالٍ، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾.

وقال سبحانه في الآية الأخرى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وكان عدَدُهم يتجاوز الألفَ بكثير، وكلُّهم قد رضيَ الله عنهم.

وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في شأنِ أهلِ بدرٍ: «**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(١)؛ فهذه تزكِيةٌ من وَراءِ تزكية، وثَناءٌ من وراءِ ثَناءٍ، ومدحٌ عظيمٌ متتابعٌ في القرآن الكريم وفي سنَّة النَّبيِّ ﷺ، ولا تَكادُ الآيات والأحاديث الَّتي في الثَّناءِ على الصَّحابة رضي الله عنهم تُحصَى.

بل لم يأت الثَّناءُ على الصَّحابة في القرآن فقط، بل إنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

الثَّناءَ عليهم سَبَقَ وجودَهم على الأرض؛ فقد جاء الثَّناء عليهم في التَّوراة والإنجيلِ من قبلِ أن يُخلَقُوا، ومِن قبلِ أن يوجَدُوا، ففي آخر آية من سورة الفتح قال الله عن الصَّحابة رضي الله عنهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾؛ فالرَّبُّ عز وجل يثني على الصَّحابة، وأين هذا المثل وفي أيِّ كتاب؟ يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [سُورَةُ الفَتْحِ]، هذا ثَناء عاطر على الصَّحب الكرام رضي الله عنهم مذكورٌ في التَّوراة، ومذكورٌ في الإنجيل.

فهذه الآية الكريمة تبيِّنُ لك ـ أخي المسلم ـ أنَّ الرَّبَّ العظيمَ أثنى على الصَّحابةِ وزَكَّاهم وعدَّلهم في التَّوراة وفي

الإنجيل وفي القرآن؛ ثناءٌ عظيمٌ ومدحٌ جليلٌ وتزكية عالية لهؤلاء الخيار والأئمَّةِ العدولِ، فأثنى عليهم قبل أن يوجَدوا، ومدَحَهم مِن قبل أن يُخلَقوا حينما أنزَلَ كتابَه التَّوراة على موسى عليه السلام، وحينَما أنزَل كتابَه الإنجيلَ على عيسى عليه السلام، ثمَّ أثنى عليهم وهُم على وجهِ الأرضِ في كتابِه القُرْآنِ الكريمِ الَّذي أنزَلَه على محمَّد ﷺ.

نقرَأُ ـ أيضًا ـ ثناءً آخَر على الصَّحابةِ رضي الله عنهم مِن ربِّ العالمين في سورَة الحشر حيث يقولُ الله جلَّ وعلا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الحشر]، فوصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، ثمَّ قال عن الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي يحبُّون المهاجرين، ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ

نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].

فهذا ثناءٌ على المهاجرين والأنصار، والصَّحابة ـ كما لا يخفى ـ قسمان: مهاجرون وأنصار.

المهاجرون: أهل مكَّة الَّذين تركُوا أموالَهم وديارَهم وهاجروا لله، ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾، فتركُوا كلَّ شيء وراءَهم وجاءوا إلى المدينة ينصرون الله ورسوله، فقال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾؛ أي في إيمانهم، وفي صُحبتهم، وفي طاعتهم، وفي اتِّباعهم لدين الله تبارك وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

هؤلاء هُم الصَّحابة رضي الله عنهم، يُثني الرَّبُّ ـ جلَّ وعلا ـ عليهم هذا الثَّناء المبارك العاطر.

وكما أثنى الله تعالى على المهاجرين؛ أثنى أيضًا على

الأنصار، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾، المراد بالدَّار: المدينة، والأنصار تبوَّءوا المدينة مِن قبلِ المهاجرين، لَكِن مَاذا فَعَلَ الأنصارُ عندما جاءَهم المهاجِرون؟ ناصفوهم في أملاكهِم؛ فكان الأنصارِيُّ يُعطي المهاجِرَ نصفَ بَيْتِهِ، ونصفَ مالِه، وهذا الإيثارُ الَّذي مدَحَهم الله به: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، واجتمع الأنصارُ والمهاجِرون على نُصرةِ دينِ الله ـ تبارك وتعالى ـ؛ فكلُّهم أنصارٌ لدِينِ الله، وكُلُّهم أعوانٌ لدين الله، ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾.

*** موقف المسلم تجاه الصَّحابة** رضي الله عنهم :

هذا شأنُهم؛ فماذا عن شأنِ الَّذين جاءوا مِن بعدِهم ـ أي المؤمنين الَّذين اتَّبعُوهم بإحسَان ـ؟

لابدَّ أَنْ نَنْتَبِهَ هُنا؛ لأنَّ الله عز وجل سيُبَيِّنُ المنهجَ الَّذي ينبغي أن يكون عليه المؤمنُ معَ المهاجِرينَ والأنصارِ بعدَ زمنِهم.

قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: مِن بعدِ المُهاجِرين

والأنصار: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ].

فهذه الآية تُبَيِّنُ المنهجَ الَّذي يجب أن يكونَ عليه كلُّ مؤمِنٍ تُجاهَ الصَّحابة رضي الله عنهم.

○ ويتلخَّص هذا الواجبُ في أمرَيْن اثنَيْن ـ تَنَبَّه لهما جيِّدًا ينفعك الله عز وجل بهما ـ:

الأمر الأوَّل: سَلامة الصَّدر تجاه الصَّحابة؛ أن تكونَ قلوبُنا سليمةً تُجاههم، ليس فيها غِلٌّ ولا حِقدٌ ولا ضَغِينَةٌ، وليس فيها بَغْضَاء ولا عَدَاوةٌ، وإنَّما فيها المحبَّةُ والإحسان والرِّفق والمودَّة، وهذا نأخذه من قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: اجعلْ قلوبَنا سليمةً تجاه مَن سَبقنا بالإيمان، وهُم إخوانُنا، بل هُم خيرُ إخوانِنا رضيَ الله عنهُم وأرضاهُم؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا

﴿وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، فهم إخوانُنا، وإضافةً إلى ذلكَ مُيِّزوا بميزةٍ عظيمةٍ وشُرِّفوا بتشريفٍ كبيرٍ: ﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، وفي الآية الأخرى قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، هذا خصَّهم اللهُ ﷻ به.

نحنُ الآن في القَرن الرَّابع عشر وبينَنا وبينَهُم قرون، وهُم كانُوا معَ النَّبيِّ ﷺ من حين بُعِثَ، ونَصَرُوه وعزَّروه وأيَّدوه، وكانُوا معه جنبًا إلى جنبٍ، فأينَ نحنُ منهم؟!

سبقونا بالإيمان، وسبقونا بنصر الدِّين، وسبقُونا بأن شرَّفهم الله ﷻ بصُحبة النَّبيِّ الكريمِ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ؛ ولهذا ـ وأنتَ تدعو للصَّحابة ـ تذكَّر سابقتَهم، وهذه لفتَةٌ في الآية عظيمةٌ لَّما قال: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ لهُم حقٌّ عليكَ في هذا السَّبقِ العظيمِ؛ وَلِكَيْ تعرفَ قدرَهُم استحضِرْ سابقتَهم الَّتي مَدَحَهم الله ﷻ وأثنَى

عليهم بها: ﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

المقصودُ أنَّ **الخصلة الأُولى**: هيَ سَلامةُ القَلب تُجاه الصَّحابة، وهذا نأخُذُه من قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

والخصلة الثَّانية: سَلامة اللِّسان؛ فلا سبَّ ولا فُحشَ ولا لَعنَ ولا طَعنَ، وإنَّما الدُّعاء؛ نأخُذ ذلكَ من قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا﴾، هل يسبُّون الَّذين سبَقُوهم بالإيمان؟! هَل يشتُمونهم؟! هل يطعنون فيهم؟! هل يقعون في أعراضِهم؟! حاشَا وكلَّا؛ ليسَ هذا مِنْ شأنِ المُؤمنين؛ بل شأنُهم كما قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ].

ولهذا يتلَخَّص منهجُ أهل الإيمان تُجاه الصَّحابة رضي الله عنهم

في نُقطتَين:

ـ **الأولى**: سلامة القَلب.

ـ **والثَّانية**: سلامة اللِّسان.

نعم قلبٌ نظيفٌ، ولسانٌ نقيٌّ تُجاه الصَّحابة الكرامِ رضي الله عنهم وأرضاهم.

*** فضل الصَّحابة وحُرمة سبِّهم:**

جاء في «الصَّحيحين» حديثٌ عن النَّبيِّ ﷺ يحذِّر الأمَّة من سبِّ الصَّحابة، وفي الوقتِ نفسِه يبيِّن لهم مكانَتهم، قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[1].

لو أنَّ أحدَ الصَّحابةِ رضي الله عنهم تصدَّقَ بمُدٍّ من طعام على

(١) البخاري (٣٦٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مسكين، وجئتَ أنتَ بمِثْلِ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهبًا ـ وهذا لا يستَطيعُه أحدٌ منَّا مهما بلغَ مالُه أن يأتي بمثل جَبل أُحُد من الذَّهب يتصدَّق به ـ، وربَّما لو جاءه من الذَّهب مثل جَبل أُحُدٍ لفَتَنَهُ وأقبَل عليه وأصبح شَحِيحًا به بخيلًا، لكن لَو فُرِض أنَّ أحدَنا عنده منَ الذَّهب مثلُ جبلِ أُحُدٍ وتصدَّق به ما بلَغَ مُدَّ أحدٍ منَ الصَّحابة، فتنبَّهوا واعرِفُوا قدرَ الصَّحابةَ ومكانتهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

«**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي**»؛ هذا كلامُ النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ وليسَ كلامَ أَحَدٍ مِنَ النَّاس أو أَحَدِ العلماء، وإنَّما كلامُ الرَّسول ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ ينصَح الأمَّة ويحذِّرها منَ الوقوع في أحدٍ من الصَّحابة أو التَّنقُّص لأحدٍ منهم رضوان الله عليهم، وينبِّه إلى معرفة قدرهم ومكانتهم.

والأحاديث عنه ﷺ في هذا الباب كثيرةٌ جدًّا؛ يبيِّنُ فيها للأمَّة شأنَ الصَّحابةِ ومكانَتَهم وقدرَهم ومناقِبَهم، حتَّى إنَّ بعضَ العلماءِ عندما أرادَ أن يُفرِد مناقبَ الصَّحابةِ في كتابٍ

مَا استطاعَ جمع ذَلِكَ في مجلَّد واحد، بل احتاج إلى مجلَّدات ومجلَّدات، ومطوَّلات ومطوَّلات لكثرة الأحاديث الثَّابتة عن النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في الثَّناء على الصَّحابة أفرادًا وجماعاتٍ.

لا إله إلَّا الله! ما أعلى قدرَهم؛ وما أجلَّ مكانَتَهم؛ وما أرفعَ شأنَهم؛ وما أعظمَ واجبَ المسلمين نحوَهم؛ رضي الله عنهم وأرضاهم.

فالله ـ سبحانه ـ أمرَ أهلَ الإيمان بالدُّعاء للصَّحابة والاستغفارِ لهم ففعلوا، ولكن بعضَ النَّاسِ عكسُوا الأمرَ وقلَبوه رأسًا على عقبٍ، ففعلوا عكسَ ما طُلِبَ منهُم في القُرآن، وعكسَ ما طُلِبَ منهُم في سنَّة النَّبيِّ ﷺ؛ فجعلوا بدلَ الاستغفار السَّبَّ، وبدل الثَّناء الطَّعنَ، ولهذا جاء في «صحيح مسلم»[1] أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت لعُروة بن الزُّبير: يا ابنَ أُختِي! أُمِرُوا

(١) برقم (٣٠٢٢).

أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لأصحَابِ النَّبيِّ ﷺ فسَبُّوهُمْ».

لكنَّ لله تعالى في ذلكَ حكمةٌ؛ تَقُولُ عَائِشَةُ رضي الله عنها ـ كَمَا أَوْرَدَ ذَلِكَ ابْنُ الأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ «جَامِعِ الأُصُولِ»[1] ـ: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قيل لعائشةَ: «إِنَّ ناسا يَتَنَاوَلون أصحابَ النبيِّ ﷺ، حتَّى أبا بكر وعمر، فقالتْ: وما تَعْجَبون من هذا؟ انقطع عنهم العملُ، فأحبَّ الله أن لا يقطعَ عنهم الأجْرَ».

كَيْفَ هَذَا؟ نحنُ نعْلَمُ عِلْمًا وَاضِحًا مِنَ السُّنَّةِ أَنَّ مَنْ يَطْعَنُ فِي غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، يُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ، أي مِن حسنَاتِ هذا الطَّاعن وَتُعْطَى لِلمَطْعُونِ فِيهِ بغَيْرِ حَقٍّ، كما في حَدِيثُ المُفْلِسِ، حتَّى تعرف من خلالِه ماذا سيَحْدُث يومَ القيامة لمن يطعَنُ في الصَّحابة؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلصَّحَابَةِ يَوْمًا: «**أَتَدْرُونَ**

(١) برقم (٦٣٦٦) ولم يذكُر مَن خرَّجَه، ورواه مسندًا ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٨٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٤٧).

مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: يا رسولَ الله! الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ؛ فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[(١)]؛ نسأَلُ اللهَ العافيةَ والسَّلامةَ.

هذا فيمن يسبُّ آحادَ المسلمين، فكيفَ بمَن يسبُّ أصحابَ النَّبيِّ الكريمِ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ؟! ألا ما أعظمَ المصيبةَ وما أشدَّ الرَّزِيَّةَ؟! حين يقدُمُ هذا السَّابُّ يوم القيامة فتؤخَذُ من حسناتِه وتُعطى للصَّحابة الكِرام، فإنْ فنِيَت حسناتُه أُخِذ من سيِّئات مَن طَعنَ فيه فطُرحت عليه؛ فطُرح في نَار جهنَّمَ، لا إلهَ إلَّا اللهُ، ما أعظمَ مصيبةَ مَن يَطعنُ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه.

في الصَّحابة؟! وما أشدَّ بليَّته وما أفظع رزيَّته عندَما يأتي يومَ القيامةِ مفلسًا؟! يأخذُ أبو بكر رضي الله عنه من حسناتِه، ويأخذُ عمَرُ رضي الله عنه من حسناتِه، ويأخذُ عثمانُ رضي الله عنه من حسناتِه، وزوجاتُ النَّبيِّ ـ رضيَ الله عنهُنَّ وأرضاهُنَّ ـ يأخذُنَ من حسناتِه، وهكذا بقيَّة الصَّحب الكرام رضوانُ الله عليهم.

والعَجَبُ أنَّ أمَّ المُؤمنين عائشةَ رضي الله عنها لم تسلَمْ مِن طعنِهم، معَ أنَّ اللهَ برَّأَها في القُرآن ممَّا رماهَا به أهلُ الإفكِ، وأنزَل في ذلك آيات في سورة النُّور تُتْلى في محارِيب المُسلمين إلى يَوم القِيامة، ومَع ذلكَ لا يزال يوجَد مَن يطعنُ فيها؛ إذًا ماذَا سيكونُ لعائشةَ يوم القيامة؟ إنه نصيبٌ عظيمٌ من الحسناتِ، ثمَّ يأتي هذا الطَّاعنُ يومَ القيامةِ مفلسًا؛ لأنَّه انتدبَ نفسَه طعَّانًا لعَّانًا في أصحابِ النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، حتَّى إنَّ بعضَ النَّاس يصبِحُ ويُمْسِي طَعْنًا ولعنًا في صَحابة رسُول الله صلى الله عليه وسلم ـ عياذًا بالله ـ؛ هذا كيفَ ستكونُ حاله يوم القيامة عندمَا يلقَى اللهَ جلَّ وعلا!

حتَّى إنَّ بعضَهم ليقول: اللَّهُمَّ الْعَنْ جِبْتَي قُريش وطاغوتَيْهما وأقبَاطَيْهما وابنتَيْهما أبَا بكر وعُمَر؛ مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في شأنِ المؤمنِ عُمومًا: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيءِ**»[1]؛ بَل لَمَّا قيل للنَّبيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ الله! ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ؛ قَالَ: **إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا**»[2]؛ ثمَّ يأتِي فِئَامٌ مِنَ المخذولين فيَخْتَارُون صَفْوَةَ الأمَّةِ وخيارَها فيلعنونَهم! نعوذُ بالله من الخِذلان.

* التَّفاضل بين الصَّحابة:

ولقد جَاء عن النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ حديثٌ صحيحٌ رواه غيرُ واحدٍ من الصَّحابةِ، منهم عليُّ بن أبي

(١) أخرجه أحمد (٣٩٤٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣١٢)، والتِّرمذي (١٩٧٧)، والحاكم (١/ ١٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال التِّرمذي: «حديث حسن غريب»، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشَّيخين» ووافقه الذَّهبي، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٣١٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

طالب رضي الله عنه يقول: قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ**»[1]، ولهذا فإنَّ أفضلَ النَّاس في الجنَّة بعدَ الأنبياءِ والمرسلين أبو بكرٍ وعمر رضي الله عنهما، وهما أفضلُ النَّاس بعد الأنبياء.

وجاء في «صحيح البخاري»[2] عن ابن عُمَر رضي الله عنهما قال: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ رضي الله عنهم»، وفي زيادةٍ عند غيره[3]: «فَيَبْلُغُ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَلا يُنْكِرُهُ».

(١) أخرجه أحمد (٦٠٢)، والتِّرمذي (٣٦٦٦)، وابن ماجه (٩٥)، ورُوي عن جمعٍ منَ الصَّحابة، وقد صحَّحه الألباني بمجموع طرقه في «الصَّحيحة» (٨٢٤).

(٢) برقم (٣٦٥٥).

(٣) «السُّنَّة» لابن أبي عاصم (٩٩٣)، و«المسند» لأبي يعلى (٥٦٠٤)، والطَّبراني في «مسند الشَّاميين» (١٧٦٤) وهي زيادةٌ صحيحةٌ، صحَّحها الألباني في «ظلال الجنَّة» (١١٩٣).

بل جاء في «صحيح البخاري»[1] عن محمَّد بن الحنفيَّة قال: قُلْتُ لأَبِي ـ عَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ـ: «أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ! قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»، هذا عليٌّ رضي الله عنه.

بَلْ جَاءَ عَنْ عَلَيٍّ رضي الله عنه ـ كَمَا فِي «السُّنَّةِ»[2] لابْنِ أَبِي عَاصِمٍ ـ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَبْلُغنِي عَنْ أَحَدٍ يُفَضِّلُنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَّا جَلَدْتُهُ حَدَّ الْمُفْتَرِي»، هذا كلام أميرِ المؤمنين الخليفةِ الرَّاشد عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولهذا؛ ينبَغي أن نعلمَ أنَّ من واجبِنا نحوَ الصَّحابة أن نعرفَ التَّفاضُلَ الَّذي بينهُم، وما التَّرتيب بينهم في الأفضليَّة؛ لنعطيَ كلَّ ذِي حقٍّ حقَّه، أليسَ اللهُ قال في القُرآن: ﴿لَا

(١) برقم (٣٦٧١).

(٢) برقم (١٢١٩)؛ ورواه أحمد في «فضائل الصَّحابة» (٤٩)،

يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ]، الحُسنى أي الجنَّة، والفَتْح هو فتح مكَّة، وقيل: المراد به صُلْح الحُدَيبيَّة؛ فالَّذين بايَعُوا النَّبيَّ ﷺ تحتَ الشَّجرة يومَ صُلح الحُديبية، لا يستَوُون في الإيمان، وفي المكانة، وفي الشَّأن والقَدْرِ مع الصَّحابة الَّذين أسلَموا من بعد الفَتح وقاتَلوا، فَرْقٌ بين هؤلاء وهؤلاء، وكلُّهم صحَابةٌ، وكلُّهم أهلُ إيمانٍ، وكلُّهم في الجنَّة.

فالصَّحابة بينهم تفاضل:

فأفضَلُ الصَّحابة: الَّذين بايعوا تحتَ الشَّجرة، **وأفضلُ مِن هؤلاء:** الَّذين شهِدوا بَدْرًا، **وأفضلُ هؤلاء كلِّهم:** العَشرة المبشَّرون بالجنَّةِ؛ وهؤلاء عَشْرةٌ من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ شهِد لهم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في مجلسٍ واحدٍ بأنَّهم في الجنَّة، نصَّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ نصًّا زادَهُم شرفًا أنَّهم في جنَّة الخُلد في مجلسٍ واحدٍ؛ كما في الحديث الَّذي رواه التِّرمذيِّ والإمام أحمد

وغيرهما، عن عبد الرَّحمن بن عَوف ﵁ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ ابْنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»(١)، فهؤلاء عشرةٌ شهِد لهمُ النَّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ بأنَّهم في الجنَّة في مجلس واحد، فكانوا يمشُون على الأرضِ وهُم يعلمُونَ أنَّهم في الجنَّة، شهِد لهم الصَّادق الأمينُ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ وأَعْظِمْ بها وأَكْرِمْ بها من شهادةٍ؛ يمشي على وجهِ الأرض وهو يعلَمُ أنَّه يومَ القيامة مِن أهل الجنَّة.

وأفضَلُ هؤلاء العَشْرة: الخلفاء الأربعة، **وأفضَل الخلفاء الأربعة:** أبو بكر وعمر، **وأفضل الصَّحابة على الإطلاق:** أبو بكر

---

(١) رواه أحمد (١٦٧٥)، والتِّرمذي (٣٧٤٧) ، والنَّسائي في «الكبرى» (٨١٩٤) من حديث عبد الرَّحمن بن عوف ﵁، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠).

الصِّدِّيق، صدِّيق الأمَّة.

ولقد خُصَّ أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه من بين الصَّحابةِ كلِّهم بأنْ نُصَّ على صحبتِه في القرآن: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] لا يوجَد أحدٌ من الصَّحابة نُصَّ على صُحبَتِه في القُرآن إلَّا أبا بكرٍ رضي الله عنه صدِّيقَ الأمَّة، وهو أوَّل من أسلمَ من الرِّجال، وكان صِدِّيقًا، فما يبلُغه عن النَّبيِّ ﷺ شيءٌ إلَّا صدَّق به، حتَّى إنَّ المشركين لَمَّا جاء النَّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ وأخبرهم أنَّه أُسرِي به إلى بيت المقدس، وعُرِجَ به إلى السَّماء، وركب البُراق، سمعوا أخبارًا ما استطاعوا أن يصدِّقوها، جاءوا إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: أما علمتَ ماذا يقولُ صاحبُك؟ يقول كذا وكذا وكذا، قال: «إنْ كانَ قالَ ذلكَ فقَد صَدَق!»(١)؛

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصَّحابة» (١/ ٨٢)، والبيهقي في «دلائل النُّبوَّة» (٢/ ٣٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها وصحَّحه الحاكم ووافقه الذَّهبي، وصحَّحه الألباني أيضا في «الصَّحيحة» (٣٠٦).

فهو صدِّيق الأمَّة رضي الله عنه ما يبلغُ أحدٌ منزلتَه في الصِّدِّيقيَّة.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩]، فأوَّل الأمَّة دخولًا في هذا الشَّرف وهذا اللَّقب: أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، ولم يبلغ أحدٌ منزلَته في ذلك.

وانظر لهذه الصِّفة البَليغَة: كانَ مرَّةً ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ يحدِّثُ أصحابَه، وما كان ثَمَّ أبو بكرٍ وعُمَر ـ لم يكونا موجودَيْن ـ، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ صَلاَةَ الصُّبحِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا؛ إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ**، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ الله! بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ!! فَقَالَ: **فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ** ـ وَمَا هُمَا ثَمَّ ـ؛ **وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ: هَذَا اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي؛ فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي**؛ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ الله!

ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ!! قَالَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ـ وَمَا هُمَا ثَمَّ ـ»[1].

فانظر إلى الصِّدِّيق وإلى إيمانه، وانظر كمالَ هديِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم.

ولو أخذنا نتحدَّث عن فضَائلِ أبي بكر وعمرَ رضي الله عنهما خاصَّةً من خلالِ القرآن ومن خلالِ سنَّة النَّبيِّ ﷺ؛ لما كفتْنَا محاضرةٌ واحدةٌ، ولا محاضرات، وما كفانا درسٌ واحدٌ ولا دروسٌ لكثرَة الفضَائل، وكثرة المناقب الَّتي خُصَّ بها هَذين الصَّحابيين رضي الله عنهما.

ولهذا نتوجَّه إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ونسأله بأسمائه الحسنى وبصفاته العُلا، وبأنَّه الله الَّذي لا إله إلَّا هو ألَّا يجعل في قلوبنا غِلًّا لأحدٍ من أصحاب النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، ولا لأحدٍ من المؤمنين، وأن يغفرَ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧١).

بالإيمان، ونسأله ـ جلَّ وعلا ـ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يحشرَنا يومَ القيامة مع نبيِّه الكريم، ومع صحابتِه الميامين، ونسأله ـ جلَّ وعلا ـ أن يحشرنا يوم القيامة مع أبي بكر، ومع عُمَر، ومع عثمان، ومع عليٍّ، ومع زوجاتِ نبيِّنا ﷺ ـ رضي الله عنهنَّ وأرضاهنَّ ـ، وأن يحشرَنا يوم القيامة مع الصَّحابة أجمعين، أهل الدَّرجات العُلى والمنازل الرَّفيعة والأماكن العليَّة.

❖ **نصيحة**: (العناية بدراسة سِيَر الصَّحابة رضي الله عنهم)

وينبغي علينا ـ إخوة الإسلام! ـ أن نعتنيَ بدراسة أحوال الصَّحابة، ومناقِبهم، وفضائِلهم، بدءًا بما جاء في القرآن الكريم، ثمَّ ما جاء في سنَّة النَّبيِّ الكريمِ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، ثمَّ ـ أيضًا ـ ما جاء من الآثار المُباركة والنُّقول العظيمَة ـ الَّتي دوَّنها أئمَّة الإسلام وعلماء الدِّين في كُتُب الحديث ـ مثلما جاء في «صحيح البخاري»، وفي «صحيح مسلم»، وفي «السُّنن الأربعة»، وفي «المسانيد»، و«المعاجم»،

و«الأجزاء»، والكتب الخاصَّة الَّتي أُفرِدَت في فضائل الصَّحابة، لأنَّنا سنستفيد من هذه القراءة أمورًا كثيرة منها:

النُّقطة الأولى: أنَّك إذا قرأتَ عن الصَّحابة وأخبارِهم وسيرِهم وأحادِيثهم العطرة، فإنَّك تزداد حبًّا لهم وثناءً عليهم وترضِّيًا عليهم، واستغفارًا لهم وذكرًا لهم بالخَير، وكفى بهذه فائدة.

والفائدة الثَّانية: أن تحرصَ عندما تقرأ سيرهم على أن تتشبَّه بهم، فكلَّما كنتَ بالصَّحابة أشبهَ كُنْتَ إلى الخيرِ أَقْرَبَ، وكُلَّما ازدَدتَّ تشبُّهًا بالصَّحابة وسلوكًا لنَهجهم وتمسُّكًا بخُطاهم، كنتَ أقربَ النَّاس إلى الخَير؛ لأنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قال: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»[1] فهؤلاء شَهد اللهُ لهم

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

بالخيريَّة، وشَهد لهم رسُولُه ﷺ بها، كلَّما ازددت تشبُّها بهم كلَّما كنتَ إلى الخير أقربَ.

والفائدة الثَّالثة: أنَّك ستكونُ بعيدًا أشدَّ البُعد من النَّيل منهم أو الوَقيعة فيهم أو الطَّعن أو نحو ذلك؛ أنت أُمِرتَ بالاستغفار لهم والثَّناءِ والمدحِ والإكرامِ والإحسانِ والمحبَّةِ والتَّوقيرِ تُجاه أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، فقراءةُ سِيرهم ستَزيدك حبًّا لهم وثناءً عليهم وتمجيدًا لهم، وترضِّيًا عنهم وبعدًا عن الكلام فيهم بغير حقٍّ.

*** موقف المسلم ممَّا شجر بين الصَّحابة رضي الله عنهم :**

وهنا مسألةٌ أخيرةٌ وهي ما يتعلَّق بما كان بين الصَّحابة من اختلاف ؛ فماذا علينا نحنُ في هَذا المقام تجاه مَّا شجر بين الصَّحابة رضي الله عنهم .

نذكر في ذلك قول أحد السَّلف عندما سُئِل عن هذا الأمر فقال: «تلك فتنة طهَّرَ الله منها سيوفَنا، فَلْنُطَهِّر

منها ألسنتَنا»[1].

وسُئلَ أحدُ السَّلف[2] ـ أيضًا ـ عن مثل ذلك، فتَلا قولَ الله تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٣٤)﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

لنَفْرِض أنَّ أحدَ الصَّحابة أخطَأ؛ فهل يحاسبك الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يوم القيامة أنتَ على هَذا الخطأ؟ قال تعالى: ﴿**وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾؛ فلماذَا تُقحِم نفسَك في هذا الَّذي شجَر بين الصَّحابة وأنتَ لستَ حسيبًا عليهم ولا رقيبًا، ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٣٤)﴾.

---

(١) يروى عن عُمَر بن عبد العَزيز رَحِمَهُ اللَّهُ انظر: «حلية الأولياء» (٩/ ١١٤)، و«المجالسة» (١٩٦٥) بلفظ: «تِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ يَدِي مِنْهَا؛ فَمَا لي أخضِّبُ لساني فيها؟!».

(٢) هو الإمام أحمد؛ انظر: «السُّنَّة» للخلَّال (٢/ ٤٨١).

ثمَّ أمرٌ آخَر، وهُو في غاية الأهمِّيَّة: هذَا الخَطأ الَّذي نفرضُ أنَّه وُجِدَ عند بعض الصَّحابة نجعَله في ميزان الإسلام، يقول ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[1]، ولهذا فإنَّ الأمور الَّتي تُنقَل عن الصَّحابة من خلاف أو خطَأ لا تخلو من حالَيْن:

إمَّا أنَّه كذبٌ عليهم، وهذا أكثَر ما يُنقَل.

وإمَّا أنَّه صحيح ثابت، وما صَحَّ عنهُم من ذلكَ فهُم مجتَهدون فيه، فيكون أحدُهم إمَّا مجتهدًا مصيبًا له أجران، وإمَّا مجتهدًا مخطئًا له أجرٌ واحدٌ وذنبُه مغفور.

فلا ينبَغي للإنسان حينئذٍ أن يخوضَ في شيء ممَّا شَجَر بين الصَّحَابة، إلَّا إذا أرادَ أن يُدافعَ عنهُم ويَذُبَّ عن حِماهُم، ويُبيِّن مكانَتَهُم وقدرَهم وشأنَهم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

---

(١) رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حَديث عمرو ابن العاص رضي الله عنه.

ثمَّ إنِّي أختمُ هذه الرِّسالة بهذا الدُّعاء، فأقول:

اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كَمَا صلَّيتَ على إِبْرَاهيم وعلى آل إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وبارِكْ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما بارَكت على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

وارض اللَّهمَّ عن الخلفاء الرَّاشدين والأئمَّةِ المهديِّين؛ أبي بكرٍ الصِّدِّيق، وعمرَ الفاروق، وعثمانَ ذي النُّورين، وأبي الحَسَنَيْنِ عليٍّ، وارض اللَّهمَّ عن بقيَّة العشرة المبشَّرين بالجنَّة، وارض اللَّهمَّ عن زوجاتِ نبيِّك ﷺ، وارض اللَّهمَّ عن صحابة نبيِّك الَّذين شهدوا بَدرًا، وعن صحابة نبيِّك الَّذين شَهِدُوا بيعةَ الرِّضوان، وارض اللَّهمَّ عن صحابة نبيِّك أجمعين، وارض اللَّهمَّ عمَّن تبعهم بإحسان.

ربَّنا اغفر لنا ولإخوانِنَا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غِلًّا للَّذين آمنوا، ربَّنا إنَّك رؤوف رحيم.

اللَّهمَّ إنَّا نبرأ إليك ونعوذُ بك ـ يا ذا الجلالِ والإكرام ـ من طريقةِ من يقعُ في أحدٍ مِن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، اللَّهمَّ إنَّا نبرأ إليك من طريقةِ هؤلاء، ونعوذ بك ـ يا ذا الجلال والإكرام ـ مِن مَسلكِهِم، ونسألك يا ذا الجلال والإكرام أن تعمرَ قُلوبَنا بمحبَّة أصحاب نبيِّك أجمعين، وأن تحشرَنا معهم يوم القيامة ـ يا ذا الجلال والإكرام ـ.

اللَّهمَّ واغفر لنا أجمعين، اللَّهمَّ وفِّقنا لما تحبُّ وترضى، وأعنَّا على البرِّ والتَّقوى.

اللَّهمَّ إنَّا نسألك موجباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، والغنيمةَ من كل برٍّ، والسَّلامةَ من كلِّ إثم، والفوزَ بالجنَّة، والنَّجاة من النَّار.

اللَّهمَّ أصلح لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرِنا، وأصلح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا الَّتي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، والموت راحةً لنا من كلِّ شرٍّ.

اللَّهمَّ أصلح ذات بينِنا، وألِّف بين قلوبِنا، واهدِنا سبلَ السَّلام، وأخرجْنا من الظُّلماتِ إلى النُّور، وبارِك لنا في أسماعِنا وأبصارِنا، وقُوَّاتِنا أبدًا ما أحيَيْتَنا.

اللَّهمَّ اجمعنا على طاعتِك ـ يا ذا الجلال والإكرام ـ وما يقرِّب إليك وثقِّل به موازينَنا ـ يا حيُّ يا قيومُّ، يا ذا الجلال والإكرام ـ.

اللَّهمَّ اجعلنا ممَّن يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه أولئك الَّذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك وأنعم على عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين(١).

---

(١) أصل هذه الرِّسالة محاضرة أُلقيت في مسجد قباء بالمدينة المنوَّرة، وقد فُرِّغت من الشَّريط وأَجريْتُ عليها تعديلات يسيرة، وفضَّلتُ أن تبقى بأسلوبها الإلقائي كما كانت في المحاضرة، والله وحده الموفِّق.

الفَهرس



مطابع الحميضي ت: 2130130 الرياض